

ما هي أعظم أمانة الله في حياتنا، وما دور حفظها في شفاء قلوبنا؟

أعظم أمانة الله في حياة الإنسان وتأثير حفظها العميق

ما هي أعظم أمانة في حياتك؟ قد تقول: زوجتي، ابني، أو حتى قد يتبادر إلى ذهنك مجوهرات ثمينة أو كُلت إليك. كل هذا صحيح، لكن إذا نظرنا بدقة، هناك أمانة أثقل من كل هذه؛ أمانة نحملها معنا إلى الآخرة. هذه الأمانة لا تمتلك قيمة روحية فحسب، بل إن جودة حفظنا لها هي مقياس لسلامة قلوبنا. حفظ الأمانة ليس مجرد سمة أخلاقية؛ إنه مؤشر يظهر مدى نقاء قلوبنا، يقظتها، وحيويتها. إذا أردنا أن نفهم حالة دواخلنا، يكفي أن نتفحص مدى شعورنا بالمسؤولية تجاه أمانات أو كُلت إلينا. هل نحن غير مبالين بها أم نهتم بها حقاً؟ إذا تسببنا في ضرر لها دون قصد، هل نشعر بالحزن والقلق أم نمر عليها مرور الكرام؟ هذا الاهتمام أو الإهمال هو الذي يبلغ عن حالة قلوبنا.

لكن قبل أن نقيس مستوى سلامة قلوبنا، يجب أن نفهم ما هي هذه الأمانات بالضبط. نطاق الأمانات الموكلة إلينا واسع. بعضها يتعلق بالناس، والبعض الآخر يتعلق بالله. الفئة الأولى، أي حقوق الناس، تشمل:

• ممتلكات مادية (مال، أدوات، منزل و...)

• حقوق معنوية (احترام، محبة و...)

• حقوق فردية (خصوصية، حرية و...)

• حقوق اجتماعية (أمن، عدالة اجتماعية و...)

نحن مسؤولون عن كل هذه الأمور، حتى تجاه من لا يستحقها. لكن هذا ليس سوى نصف القصة. النصف الآخر يتعلق بحقوق الله؛ أي أشياء عهد بها إلينا مباشرة من الله: أجسادنا، [نفوسنا](#)، وقلوبنا.

الأمانة الكبرى في وجود الإنسان

يعد قلب الإنسان، أثقل وأكثر أهمية من بين جميع أمانات إلهية؛ وهو ذلك الجزء من وجودنا المُشار إليه في النصوص الدينية [بالمرتبة ماوراء العقلية](#). هذا الموضع هو مكنن التوجه إلى الله، ولا يطمئن إلا بذكره. هذه المرتبة تحديداً مؤهلة لمشابهة معشوقها الحقيقي، وهو الخالق، وهنا يبلغ مفهوم الأمانة ذروته. جميعنا ملزمون بالحفاظ على هذا القلب نقيًا، مغذًى، وفي مسار النمو. من يُحسن تربية قلبه،

يبعده تدريجيًا عن التلوث، يصقله، ويقربه من التشبه بالله. هذا لا يتحقق بشعارات أو مشاعر عابرة؛ بل يتطلب جهدًا يوميًا، مجاهدة، وتربية جادة.

ولا يقتصر الوفاء بالأمانة على القلب وحده؛ فجسدنا أيضاً أمانة إلهية. إن الإفراط في الطعام أو التفریط فيه، أو السهر المفرط، أو تعريض الجسد للأذى، هو شكل من أشكال الخيانة للأمانة الإلهية. كما أن إهمال النفس لا يقل كارثية عن التخلي عن طفل رضيع في الشارع.

قال الله تعالى في القرآن الكريم: **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**^١. حمل الإنسان الروح الإلهية المودعة والتي تشكلت تدريجيًا لتكون النفس **بقواها المختلفة**: الحس، والخيال، والوهم، والعقل. وكل قوة من هذه القوى تتطلب رعاية خاصة.

تخيل أن تترك خيالك يفكر في أي مشهد، أو تملأ وهمك بالخوف والحزن، أو تغذي عقلك بمعلومات سطحية وخاطئة. هذه كلها تقصير في حفظ الأمانة. لا يمكن ترك النفس في وحل أفكار وعادات ملوثة وتوقع أن تعود "سليمة" إلى الله. ولا يحق لنا حتى استبدال معشوقات زائفة بالمحبوب الحقيقي؛ بأن نجعل القلب أسيراً للثروة، أو الشهرة، أو الجمال، أو حتى العلم والأسرة، بينما المحبوب الحقيقي لوجودنا هو الله. هذا يعني أننا انحرفنا بالقلب عن مساره الأصلي.

كيف نرعى هذه الوديعة الثمينة؟

للحفاظ على هذا "الطفل الغالي للروح"، يجب أن نكون جادين وحريصين كحرصنا على أبنائنا الماديين. فكما نوفر لنمو طفلنا التعليم والتغذية والرعاية الصحية، يجب أن نوفر لنمو أرواحنا المعلم، والتوجيه، والبيئة السليمة، والغذاء الفكري والروحي المناسب.

ومن أدوات هذه الرعاية: حضور جلسات تربوية، ودراسة نصوص موثوقة، وابتعاد عن أوساط ملوثة، وممارسة الوعي الذهني، وعبادة واعية، واختيار معشوقات إلهية. كما أن مراجعة مستمرة للقلب والنفس عبر أسئلة تشخيصية مثل: "بماذا تعلق قلبي الآن أكثر من أي شيء؟" أو "هل هذا القرار يقربني من مشابهة صفات الخالق؟" يمكن أن تكون مرآة لقياس المسار.

إن جميع مراتب النفس الخمس، بما في ذلك الحس والخيال والوهم والعقل، مشمولة في هذه الأمانة. إن التقصير في عناية دقيقة، وتربية صحيحة، وتنشئة متخصصة لكل جزء منها يُعد خيانة لأعظم أمانة في حياتنا، وتترتب عليه عواقب وخيمة لا تُجبر.

لا يجوز لنا أن نترك قوانا الباطنية نهباً للفوضى؛ فلا يُسمح لنا بتلويث خيالنا بأي فكرة عابرة، ولا بملء الوهم في نفوسنا بالخوف والقنوط. النفس الإنسانية هي أمانة إلهية مقدسة، ولسنا مالكيها الأصليين، وبالتالي لا يحق لنا أن نغمسها في أحوال تلوث عقدي أو خلل أخلاقي. والأدهى من ذلك، هو أن نسمح لمعشوقات المراتب الدُّنيا من وجودنا —كالثروة، والجمال، والسلطة، والشهرة، ومتاع الأهل والمال— بأن تعتلي [عرش قلوبنا](#) وتصبح هي مُنى الفؤاد الأسمى، فنقدمها بذلك على [المحبيبات السامية](#) التي تتوافق مع فطرتنا الإنسانية العليا: كالتوجه لله، والاقتراء بالأئمة المعصومين، والتفاني في سبيل الجهاد.^٢ نحن مكلفون بتربية هذه الأمانة لتكون سليمة، عاشقة، ومشابهة لصفات الله. أي تقصير في هذا المسار هو خيانة لفطرتنا. لقد تعهدنا بأن نتبع طريقه باختيارنا، وأن نرفع قلبنا إلى مرتبة يتجلى فيها الخالق.

كيف تحافظ على قلبك؟

السؤال المحوري ليس حول ماهية الأمانة في حياتنا، بل ماذا نفعل بهذه الأمانة؟ إن الوفاء بالأمانة لا يقتصر على "الحفظ"؛ بل يشمل "التنمية"، و"الرعاية"، و"إرجاع" الوديعة في حال أفضل مما كانت عليه. القلب هو الروح الإلهية التي أودعت فينا؛ طاهرة، ولطيفة، ومستعدة للاتصال بمصدرها الأصلي، وعلينا في رحلتنا نحو الأبدية أن نُزهر جميع إمكاناتها الكامنة. والآن، حان دورنا لنتفحص: كيف تعاملنا مع هذا الطفل الغالي للروح؟ هل تركناه جائعاً ومجروحاً؟ أم أحطناه بالحب، وتغذية سليمة، وتربية صحيحة، ومحبيبات إلهية ليبلغ النضج؟

إن الوفاء بأمانة القلب هو أهم مسؤولياتنا في هذه الحياة؛ فإذا أديناها بحق، لن نحظى بقلب سليم فحسب، بل ستكون روحنا مشفاة، هادئة، ومستعدة للقاء المحبوب الحقيقي، وهو الله.